بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٢ - سورة التكاثر

وهي مكية وآيها ثمان .

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ)

[٢] (حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ)

[٣] (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)

[٤] (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)

[٥] (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ)

[٦] (لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ)

[٧] (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ)

[٨] (ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ)

« أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ » أى شغلكم التباهى بالكثرة فى المال والولد ونحوها . فيقول هذا : أنا أكثر منك مالًا ، والآخر : أنا أكثر منك ولداً . وهكذا مما يصرف عن الجد فى العمل ، ويطفىء نور الاستعداد وصفاء الفطرة والعقل والكمالات المعنوية الباقية . ذهب بكم التفاخر والتباهى بهذه الأمور الفانية ، من كثرة الأموال والأولاد ، وشرف الآباء والأجداد كل مذهب « حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ » أى حتى هلكتم ومتم وصرتم من أصحاب القبور ، فأفنيتم عمركم فى الأعمال السيئة وما تَنَبَّهْتُمْ طولَ حياتكم إلى ما هو سبب سعادتكم ونجاتكم . وزيارةُ القبور عبارة عن الموت .

روى الزمخشرىّ شواهد لها . قال الشهاب : وفيها إشارة إلى تحقق البعث . لأن الزائر لابد من انصرافه عما زاره . ولذا قال بعض الأعراب لما سمعها : بعثوا ، ورب الكعبة ! وقال ابن عبد العزيز : لابد لمن زار ، أن يرجع إلى جنة أو نار . وسمى بعض البلغاء المقبرة ، دهليز

الآخرة « كَلَّا » ردع عن الاشتغال بالتكاثر، وتوهم أن الفوز بالتفاخر. فإن الفوز بالتناصر على الحق والتحلى بالفضائل « سَوْفَ تَعْلَمُونَ » أى مغبة ما أنتم عليه ، فى الآخرة ، من وخامة عاقبة الاشتغال بهذه الشهوات السريعة الزوال ، العظيمة الوبال ، لبقاء تبعاتها .

« ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » تكرير للتأكيد. و (ثم) للدلالة على أن الثانى أبلغ من الأول . أو الأول عند الموت ، والثانى عند النشور « كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ » أى لو تعلمون مابين أيديكم من الجزاء، علم الأمر اليقين، لكان مالايدخل تحت الوصف من الندم والتحسر على فوات العمر العزيز فى التكاثر، والذهول عن الحق به. واليقين بمعنى المتيقن، صفة لمحذوف، أو صفة للعلم، على أنه من إضافة الصفة للموصوف، وحذف جواب (لو) ليطلبه العقل من الشرط وماسبقه، ليستحكم فيه فضل استحكام . وقوله تعالى « لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ » جواب قسم مضمر ، أكد به الوعيد ، وشدد به التهديد ، وأوضح به ماأنذروه تفخيما « ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » أى الرؤية التى هى نفس اليقين ، فالعين هنا بمعنى النفس ، كما فى (جاء زيد عينه) أى نفسه . وإنما كانت نفس اليقين ، لأن الانكشاف بالرؤية والمشاهدة ، فوق سائر الانكشافات . فهو أحق بأن يكون عين اليقين . والتكرير للتأكيد .

قال الإمام: وكنى برؤية الجحيم، عن ذوق العذاب فيها. وهى كناية شائعة فى الكتاب العزيز.

« ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » أى عن النعيم الذى ألهاكم التكاثر به والتفاخر فى الدنيا. ماذا عملتم فيه؟ ومن أين وصلتم إليه؟ وفيم أصبتموه؟ وماذا عملتم به؟ ويدخل فى ذلك ما أنعم عليهم من السمع والبصر وصحة البدن .

قال ابن عباس : النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار . قال : يسأل الله العباد فيم استعملوا وهو أعلم بذلك منهم . وهو[1] قوله (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) قال ابن جرير[2]: لم يخصص فى خبره تعالى نوعاً من النعيم دون نوع. بل عمّ . فهو سائلهم عن جميع النعيم . ولذا قال مجاهد : أى عن كل شىء من لذة الدنيا . وقال قتادة : إن الله عز وجل سائل كل عبد عما استودعه من نعمه وحقه .

(١) [١٧/الإسراء/٣٦] . (٢) انظر الصفحة رقم ٢٨٩ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبى الثانية).